

## العنف الرمزي اللغوي الممارس ضد اللغة العربية الفصحى -

### اللغة الأمازيغية في النظام التربوي الجزائري

#### (دراسة ميدانية في الوسط المدرسي)

## The symbolic linguistic violence practiced against the classical Arabic language

### The Berber language in the Algerian educational system (A field study in the school environment)

هنية حسني

جامعة محمد خيضر - بسكرة، [Hania.hasni@univ-biskra.dz](mailto:Hania.hasni@univ-biskra.dz)

تاريخ الاستلام: 2019/06/12 تاريخ القبول: 2019/09/08 تاريخ النشر: 2021/12/31

#### Abstract:

Algerian society is a society in which social life is overflowing with a plurality of forms and linguistic dialects between the various social classes. Since language is not a mere means of communication, language explored important mental, psychological and symbolic codes and structures used by individuals especially in educational life. Generally, educational system produces and reproduces new language patterns in community. Therefore, language as a symbolic frame of social existence presents the most dangerous conflict in the school environment. As a result, the school adopts a linguistic pattern imposed by the class that dominates.

For the Algerian educational system, we notice three language patterns that practice a sort of violence upon other language forms which may result in pairs of languages in the different stages: These patterns are: the official language, the language of educational legislation and usually foreign in our system, the French language, and the third type, which is the colloquial language or the vernacular language.

**Keywords:** Keywords: violence, symbolic violence, the classical Arabic language, the Amazigh language, the Algerian educational system.

#### الملخص:

المجتمع الجزائري مجتمع تنيف الحياة الاجتماعية فيه بتعدد الصيغ واللهجات اللغوية بين مختلف الطبقات الاجتماعية، حيث أن اللغة لا تعني مجرد أداة تواصل بل هي نظام تفكير وطريقة في الحياة، إنها كيان رمزي ونفسي وعقلي يأخذ هيئة رمزية باللغة الخطورة في حياة الفئات الاجتماعية وخاصة على مستوى الحياة المدرسية. باعتبار المدرسة والنظام التربوي عموما أداة مباشرة لإنتاج وإعادة إنتاج الأنماط اللغوية السائدة في المجتمع، ولذلك فإن اللغة بوصفها إطارا رمزيا للوجود الاجتماعي تشكل أكثر أدورات الصراع الرمزي خطورة وأهمية في الوسط المدرسي، فالمدرسة تنبني نمطا لغويا تفرضه الطبقة التي تهيمن وتسد بصفة رسمية، على جميع الفئات والطبقات الاجتماعية.

وبالنسبة للنظام التربوي الجزائري نلاحظ ثلاث أنماط لغوية في إطار الحياة المدرسية الرسمية تمارس نوعا من العنف ضد أنماط لغوية أخرى قد تشكل معا ثنائيات لغوية في المراحل التعليمية المختلفة. وهذه الأنماط هي: اللغة الرسمية، لغة التشريعات التعليمية وعادتا ما تكون أجنبية في نظامنا اللغة الفرنسية والنمط الثالث وهي اللغة العامية أو اللغة البارجة.

**الكلمات المفتاحية:** العنف، العنف الرمزي، اللغة العربية الفصحى، اللغة الأمازيغية، النظام التربوي الجزائري.

## 1- مقدمة:

تلعب اللغة دورا فعالا في حياة الفرد؛ حيث هي وسيلة التعبير وأداة التواصل، وهما أبرز وظائفها الاجتماعية، وبها تتم العملية التعليمية والتعلمية، واعتمادا عليها تكتسب المهارات والخبرات في القراءة والكتابة، وعن طريقها تنمو ملكة البحث والكشف عن مصادر المعرفة والتذوق الفني والتفاعل مع الآخرين. ولما كان للغة هذا الدور الخطير في العملية التواصلية والتعليمية؛ أصبح من الضروري الاهتمام بها على مستوى العملية التعليمية والتواصلية عموما. خاصة وان الساحة اللغوية والتواصلية الجزائرية تشهد تعددا لغويا ولسانيا كبيرا، كما تشهد ازدواجية لغوية تسيطر فيها لغة على لغة أخرى؛ حيث تسيطر كل لغة وفق الشرعية التي تُمنح لها، بالإضافة إلى خصائصها ومميزاتها.

وهذه الخصائص والمميزات وتلك الازدواجية في اللغة، هي التي نلمسها اليوم في واقعنا المدرسي حيث لا تكاد تفارقه في كل المراحل التعليمية خاصة في المرحلة الثانوية، أين تظهر مكتسبات المتعلم بشكل واضح وتتحدد شخصيته اللغوية. من خلال لغة وطريقة تواصله في الوسط المدرسي وحتى خارجه.

فالوسط المدرسي؛ هو عبارة عن مرآة ينعكس فيها حال المجتمع وممارساته اللغوية، وهذا الازدواجية اللغوية تشكل خطرا كبيرا على الهوية الجزائرية، والتنكر للحضارة العربية الإسلامية وتراثنا الجزائري في بعده العربي والأمازيغي. وذلك لما تمارسه اللغة الأجنبية المسيطرة (الفرنسية) على الساحة اللغوية في الجزائر من تأثيرات خطيرة على المكتسبات اللغوية للتلميذ الجزائري. وذلك على حساب اللغات الوطنية؛ اللغة العربية الفصحى واللغة الأمازيغية، وهذا في شكل ثنائيات لغوية متصارعة ومتناحرة على الساحة التعليمية، وحتى في السوق الكلامية للفرد الجزائري؛ والذي يعاني من تعددية لسانية تشوش لغة تعلمه وتواصله، كما تمارس نوعا من العنف على لغته الفطرية واختياراته الشخصية.

ضمن هذا التعدد تظهر وتمارس بعض التجليات التربوية للعنف اللغوي في الوسط المدرسي، وفي مختلف مراحل التعليم في النظام التربوي الجزائري.

عند هذا الإشكال تكمن أهداف هذه المداخلة، والتي تبحث وتتقصى في بعض الممارسة اللغوية التعسفية، التي تركزها التشريعات الرسمية للنظام التربوي الجزائري بين اللغات المستعملة

في الوسط المدرسي، حيث اعتبرناه نوعا من العنف الرمزي خاصة بين اللغة الرسمية والوطنية والأجنبية.

ما هي التجليات التربوية المختلفة الممارسة للعنف الرمزي اللغوي ضد اللغات الوطنية ؟ من خلال الممارسات التالية.

- اللغة العربية لغة رسمية ووطنية ؟
- اللغة الأمازيغية لغة وطنية غير معترف بها رسميا ؟
- اللغة الفرنسية لغة أجنبية أولى وليست هي اللغة العالمية ؟
- اللهجة العامية لغة متداول في الوسط المدرسي بشكل كبير وغير رسمي ؟

## 2 / مفاهيم الدراسة:

### 1-2 العنف الرمزي:

يعرف العنف على أنه: " جميع الأعمال التي تتمثل في استخدام القوة أو القسر أو الإكراه بوجه عام ومثالها أعمال الهدم والإتلاف والتدمير والتخريب، وكذلك أعمال القتل والفتك والتعذيب وما شابه (غريب، 2006، صفحة 302).

ويراد بالعنف الرمزي " استخدام الدلالات والرموز والمعاني للسيطرة على الآخر وفرض الهيمنة عليه، ويأخذ هذا النوع من العنف صورة رمزية خفية ملتبسة تمكن ممارستها من الوصول إلى غايته وتحقيق ما يصبو إليه من سيطرة وهيمنة دون اللجوء إلى القوة الواضحة والمعلنة، ويتغلغل هذا النوع من العنف في مختلف تجليات الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية منذ أقدم العصور. ففي الحياة اليومية، غالبا ما يتم استخدام وسائل متعددة للسيطرة على قلوب الآخرين واستمالتهم وكسبهم مثل الكلمة الطيبة والموقف النبيل والابتسام والهدية والإشارة والمعنى والمدح وذلك لكسب قلوب الناس واستعبادهم (وظفة، 2009، صفحة 66).

ويعرف "بيير بورديو" و"جان كلود باسرون" العنف الرمزي في كتاب إعادة الإنتاج " إن كل سلطة عنف رمزي، أي كل سلطة تपाल فرض دلالات، وتपाल فرضها علالشرعية وقادرة على أن توارى علاقات القوة التي هي المقام الأساسي لقتها "، وفي مقام آخر يعرفه

"بيو رديو" بأنه " أي نفوذ يفلح في فرض دلالات معينة، وفي فرضها بوصفها دلالات شرعية، حاجبا علاقات القوة التي تؤصل قوته " (بورديو و بيرسون، 2007، صفحة 256).  
ومن أجل تقديم تصور بسيط للعنف الرمزي وتحديد سماته ودلالاته، يمكن مقارنته بالعنف الفيزيائي أو المادي من حيث الآثار التي يتركها كل منهما، وفي هذا الاتجاه يميز "عبد الإله بلقزيز" بين العنف المادي والعنف الرمزي حيث يقول: " ثمّة حاجة للتمييز بين نوعين من العنف هما العنف المادي والعنف الرمزي. العنف المادي يلحق الضرر بالموضوع الذي يمارس عليه العنف فيزيائيا في البدن، أو في الحقوق أو في المصالح أو في الأمن... إلخ. أما العنف الرمزي فيلحق ذلك الضرر بالموضوع سيكولوجيا: في الشعور الذاتي بالطمأنينة والكرامة والاعتبار والتوازن (بورديو، 2007، صفحة 63).

ويعد مفهوم العنف الرمزي من أكثر المفاهيم حداثة وجدة، ونظراً لحداثته النسبية فإنه يقع في دوائر المفاهيم الإشكالية الغامضة، ويبقى أسير الرهانات الفكرية النقدية التي تحاول صقله وهندسة أبعاده وتعييناته.

لقد أدى الاستخدام العام والساذج لمفهوم العنف الرمزي، إلى إضعاف الدلالات الواضحة لهذا المفهوم وتفريغها من الاعتبارات السوسولوجية وأصولها الفكرية؛ وقد يزيد في أمر خطورة أن مفهوم العنف الرمزي غامض في أصوله، وهو مفهوم كموني يحتاج إلى مزيد من الوقت كي يتجاوز مرحلة الاختار إلى مرحلة النضج والتكامل.

## 2-2 اللغة العربية:

هي اللغة الرسمية بقرارات سياسية، وهي ثابت من ثوابت الأمة، ورمز هويتنا العربية، حملت العربية من الخصائص ما جعلها لغة القرآن الكريم فهي لغة الضاد، ولغة الحروف الواضحة المحددة فكل حرف فيها عند كتابته لا يحتاج إلى حرف آخر عكس الفرنسية أو الانجليزية، والتي تحتاج أحيانا إلى حرفين للتعبير عن نطق صوت معين، وباختصار فإن العربية الفصحى "شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء" (ولد خليفة، 2005، صفحة 298). وبالعودة إلى معاجمنا تطالعنا كلما توكل ما تتجذر في العامية، أو في الفرنسية، أو في الأمازيغية، وهي ذات جذور عربية فصيحة، ليك ونأصل العربية متجذرا في إنسان الجزائر، أما فروعها فامتدت إلى لغات أخرى.  
إن اللغة العربية جزء من كيان الشخصية الجزائرية، وأصبحت لتغلغلها في النفوس ومكانتها هي الوسيلة والأداة في التعامل في شتى مجالات الحياة الإدارية والتربوية وأحيانا العلمية. وهي في

المنظومة التربوية لغة التدريس؛ ومن هنا يبرز دورها في تفعيل العملية التعليمية-التعليمية. وهي ليست مادة دراسية فحسب، بل هي وسيلة لغرس القيم في النفوس وتلقين العلوم الأخرى. وأداة لاكتساب المعرفة في مختلف مراحل التعليم والتكوين (تركبي، 1997، صفحة 70)، وتؤكد النصوص الرسمية: بأن اللغة العربية على غرار الإسلام، تشكل مع اللغة الأمازيغية إسمنت الهوية الثقافية للشعب الجزائري وعصراً جوهرياً لوعيه الوطني. كما أن هذه النصوص تتحدث عن ضرورة تطوير تعليم اللغة العربية لتصبح لغة تواصل في مختلف ميادين الحياة وأداة مفضلة في الإنتاج الفكري، ومن أجل هذا المسعى، يجب السهر على تحديث طرائقها ومحتوياتها التعليمية، لتصبح قادرة على منافسة اللغات الحديثة الأخرى للدول المتقدمة. وفي ذلك دحض لأقاويل باطلة تصف العربية بالعجز وعدم مسابرة تطورات العصر، وأن سيطرة اللهجات في المؤسسات التعليمية واحد من الأسباب الرئيسة التي حالت دون تعريب كلاً للمناهج التعليمية، إضافة إلى عدم وجود قرارات سياسية حازمة وحاسمة.

يدعم هذا الاستنتاج رئيس المجلس الأعلى للغة العربية- سابقاً - محمد العربي ولد خليفة حيث كان له رأي في وضعية اللغة العربية في الجزائر إذ يقول: "الجزائر مجتمع تعددي في مناطقه وفي لغاته وفي علاقاته بماضيه وفي تصوراته للمستقبل، وفي طريقة تمثله للغرب والتعامل مع العالم العربي، غير أن هذا التنوع لم يحظ بأدنى اعتراف بسبب انعدام سلطة رمزية، ولذلك فإن كل خصوصية نوعية لمجموعة من السكان تشعر في قرارات نفسها بالتهديد. فكل اللغات في الجزائر من العربية إلى الأمازيغية إلى العاميات مهددة لعدم وجود تخطيط لغوي يعطي لكل لغة مكانتها التي تستحقها، فالعربية الفصيحة تنتظر إنجاز الوعد (العربية لغتنا) والأمازيغية تنتظر الممارسة الفعلية في كل المجالات، أما العاميات فتسبح وسط بحر المجتمع المضطرب وتستنغيث من تلوث مفرداتها (ولد خليفة، 2005، صفحة 69).

- المفهوم الإجماعي للغة العربية: هي اللغة الوطنية والرسمية للدولة الجزائرية، وهي دعامة الشخصية الوطنية والثقافية والمقوم الأساسي للهوية الوطنية والمغربية والعربية، هي لغة التواصل الفكري والاجتماعي بين أفراد المجتمع باعتبارها لغة التعليم والإعلام والإدارة، والخطاب الرسمي للدولة داخليا وخارجيا.

## 2-3 الأمازيغية:

**اللغة الأمازيغية:** إن اللغة الأمازيغية من حيث هي لغة وثقافة وتراث؛ هي جزء لا يتجزأ من مركبات الشخصية الوطنية التاريخية، وعليه يتعين أن تستفيد هذه اللغة بكامل الاهتمام وتكون محلا للترقية والإثراء في إطار وإن الذي يرى غير هذا الرأي، يكون إما جاهلا تميّن الثقافة الوطنية بوضع تاريخ الجزائر أو تنقصه الكفاءة في التسيير، فراح يبحث عن الصيد في المياه العكرة لتغطية ضعفه؛ وذلك بمحاولة زرع التفرقة والتمييز بين أبناء الشعب الواحد بإيهامه أن نهوض اللغة الأم واحتضان أهلها لها، يؤدي إلى تصدع وحدة الأمة الجزائرية وانقسامها على نفسها، إن هذه اللغة كانت ردا من الزمن شبه مغمورة والحديث عنها يعد من الطابوهات، وقد اعتبرت لهجة محلية، في حين إنها ممتدة الجذور في تاريخ الجزائر. وأن ثمة نسبة محترمة من الجزائريين يتكلمونها شرقا وغربا شمالا وجنوبا، وهناك خمسة أنواع لسانية منها القبائلية والشاوية والترقية والشلحية... وإن الأمازيغية قد أصبحت لغة وطنية بعد مصادقة البرلمان على بعدها الوطني 2002، وأما هذا الاعتراف جاء بعد مسار نضالي طويل بتاريخ 08 وقد شرع في تدريس الأمازيغية بدءا من شهر أكتوبر 1995 بـ 16 ولاية وعدد الإقبال على دراستها يزداد سنة بعد سنة. والحقيقة أن لا مبرر على منع قوم من تعلم لغته التي تعد من مركبا شخصيته وليس بصحيح ما قدم من مبررات حول إبعاد الأمازيغية عن الساحة الثقافية الجزائرية بحجة أن إحياءها يمس بالوحدة الوطنية، مثل شهادة التعليم المتوسط وشهادة البكالوريا (المناصرة، 2004، صفحة 241).

- **المفهوم الإجرائي للأمازيغية:** اللغة الأمازيغية في الجزائر لغة وطنية، وهي من المقومات الأساسية للشخصية الوطنية والهوية الثقافية، تغطي جزءا كبيرا من الوطن في شكل لهجات مختلفة تستعمل في التواصل بين الجماعات اللغوية في المناطق ذات العنصر الأمازيغي.

## 2-4 اللغة الأجنبية:

أقصد بها اللغة الفرنسية، باعتبارها اللغة الثانية التي تدرس في النظام التعليمي، يعرف الأستاذ صالح بلعيد اللغة الأجنبية؛ بكونها كل لغة تأتي من الخارج بفعل الغزو أو الفرض أو التبعية، وتكون لغة غير رسمية ولا وطنية فحدودها في العادة معروفة واستعملنا لها لا يقودنا إلى الابتداع، بقدر ما يقودنا إلى التبعية المطلقة، وهكذا حصل عند كل الأمم التي تخلت عن لغتها وأخذت لغات غيرها، إضافة إلى ما يلحق ذلك من التجهيل بالتاريخ الوطني، والتوجيه لخدمة

أغراض اللغة الأجنبية المدروسة نلاحظ أن اللغة الأجنبية ترتبط عادة بالاحتلال الأجنبي بأنواعه، وبالتالي فهي لغة قوم أقوياء عسكريا أو اقتصاديا، أو هذا ما يؤدي إلى تولي هذه اللغة مكانة رفيعة في المجتمعات التي تكتسحها، فتتنافس لغاتها القومية والرسمية كما هو الحال في الجزائر (بلعيد، 2007، صفحة 09).

## 2-5 النظام التربوي:

تعددت التعاريف والمفاهيم كلا وفق رؤيته وتصوره الخاص لمعنى النظام والتربية معاً، وطبيعة النسق الكلي اللذان يعملان فيه وايدولوجية التحليل التربوي والاجتماعي، غير أن التحديد الاصطلاحي يبدأ دائما من المصدر المعجمي، حيث يعرفه معجم علوم التربية ومصطلحاتها: "هو مجموعة من العناصر والعلاقات التي تستمد مكوناتها من النظم السياسية والاقتصادية والسوسيوثقافية وغيرها، لبلورة غايات التربية، وادوار المدرسة ونظام سيرها ومبادئ تكوين الأفراد الوافدين إليها" (الشريفي، 2000).

أما محمد عاطف غيث في " قاموس علم الاجتماع " يعرفه: " النظام أو النسق الاجتماعي الذي يشمل الأدوار والمعايير الاجتماعية، التي تعمل على نقل المعرفة من جيل إلى جيل آخر، حيث لا يشمل النظام التربوي فقط على المنظمات الرسمية المخصصة للتربية، وإنما يشمل بالإضافة إلى ذلك على الوسائل التي حددها المجتمع لنقل التراث الثقافي (غيث، 2006، صفحة 255).

نعود إلى تعريفات إجرائية متخصصة في ميدان التربية والتعليم، وهنا اخترنا تعريف " عبد الله الرشدان " للنظام التربوي، حيث يرى هذا الأخير بأنه: " النظام المسئول عن السياسة التعليمية وتنظيمها؛ إداريا وتنفيذ إجراءاتها وتطويرها بصورة تؤدي إلى إشباع الحاجات التعليمية المطلوبة، كما أنه المسئول عن التكيف مع المستجدات التي تفرضها المتغيرات الاجتماعية والثقافية، وهو يتكون من مدخلات وعمليات ومخرجات.

حدد "الرشدان" النظام التربوي بشيء من التفصيل الداخلي لأجزاء ومكونات النظام من خلال المدخلات والمخرجات، غير أنه حصر عمله وأهدافه في الشق التعليمي بصفته مسئول عن السياسة التعليمية على حد قوله، غير أن النظام التربوي باعتباره منظومة كبرى داخل المجتمع الكلي فهو صورة عكسية ومباشرة لمبادئ وتنظيمات السياسة التربوية والسياسة العامة للدولة، بكل عناصره الإجرائية التي تحمل أهدافه وعملياته المختلفة، بداية من المناهج التربوية والبرامج الدراسية

والتنظييات والهيكلية التعليمية إلى عناصر التنظيم والتقييم، التي تتميز بها النظم التعليمية عامة (فضيل، 2009، صفحة 77).

تناول أيضا " عبد القادر فضيل " النظام التربوي بشيء من الضبط والأحكام حيث أن النظام التربوي هو مجموعة القواعد والضوابط التنظيمية التي تعطي للسياسة التربوية بعدها العملي التطبيقي، كما أنه يحدد مجالات التحرك المنسجم للعمليات التربوية من خلال هذه المقارنة، اعتبر "عبد القادر فضيل" النظام التربوي بمثابة الرقيب والمعيار التنظيمي لهذه السياسة التربوية وضبط تحركاتها باعتبارها دينامية وحركية في عدة آفاق تعليمية، كما أنه يعطي النظام التربوي بهذا الشكل الأهمية القصوى والبالغة في سير العملية التربوية، وذلك في إطار تكاملي نسقي يؤدي الوظيفة الاجتماعية والبيداغوجية للسياسة التربوية، حيث يؤكد في نفس المقال حقيقة هذه المكانة بقوله "وإذا أردنا حقيقتنا تحديد مفهوم النظام التربوي أمكننا القول: " أنه البناء المنهجي المتكامل الذي يضمن عناصر تتكامل فيما بينها، وتشكل نسقا فكريا متميزًا له خصوصيات وأهداف ومجالات تحركه " (فضيل، 2009، صفحة 77).

إن النظام التربوي في أي بلد وفي أي مجتمع هو عبارة عن مجموعة من القواعد والتنظييات والإجراءات، التي تتبعها الدولة في تنظيم شؤون التربية والتعليم، وهذه النظم التربوية عامة هي انعكاسا للفلسفة الفكرية والاجتماعية والسياسية السائدة، من خلال ما أوردها من تعاريف وتحليل علمية واجتماعية، يمكننا أن نستنتج بعض السمات والخصائص التي أعطت للنظام التربوي بعض الخصوصية.

### 3 / سياسة تدريس اللغات في الجزائر:

في تدريس اللغات الأجنبية: بنية السهر على أوجه التكامل مع اللغة العربية واخذ مصالحي البلاد الإستراتيجية في الحسبان، تتبنى المنظومة التربوية الجزائرية تدريس اللغات الأجنبية في المدارس. وذلك بهدف جعل التلميذ الجزائري يتحكم في لغتين أجنبيتين عند نهاية التعليم الأساسي. وقد أدرجت اللغة الفرنسية كلغة أجنبية أولى في السنة الثالثة الابتدائية، واللغة الإنجليزية كلغة أجنبية ثانية في السنة الأولى المتوسطة، ويتواصل تعليمهما في المرحلة الثانوية؛ حيث تدرج في بعض الشعب لغة أجنبية ثالثة اختيارية من بين اللغتين الإسبانية والألمانية. وتعليم اللغات الأجنبية في مختلف أطوار التعليم يمليه التوجه العالمي المهيكلي حول الاتصال والمتميز بتعدد اللغات، وتحليل



التوجهات العالمية في مجال التربية، تبرز أهمية تعليم اللغات الأجنبية، وذلك في ضوء الاعتبارات الآتية:

- التحكم في اللغات الأجنبية الواسعة الانتشار، أمر ضروري من أجل المساهمة الفعلية والفعالة في المبادلات الثقافية والاكْتساب المباشر للمعرفة العالمية.
- المستلزمات اللسانية الناتجة عن عولمة الاقتصاد والتحول التكنولوجية المحددة لغزو الأسواق والمعارف. ومن هنا تجب العناية بسياسة عقلانية ومتبصرة في اللغات الأجنبية، تأخذ في الحسبان مصلحة المتعلم الجزائري، ومكانة الجزائر بين الأمم، وذلك لاكتساب العلم والتكنولوجيا والثقافة العالمية. وإدخال تعدد اللغات إلى المنظومة التربوية ضرورة يتطلبها العصر، ذلك أن أحادية اللغة لا تساعد على تنمية البلاد وهي لا تسمح بالفتح على العالم ولا باكتساب المعارف والمعلومات العلمية الحاصلة خارج الوطن، مما يعيق كل حوار خصب مع الثقافات والحضارات الأخرى. وهذا هو مبرر إدخال تدريس اللغات الأجنبية في المدرسة الجزائرية، وهو مبرر مؤسس ومقبول، حيث إن التواصل مع غيرنا يتطلب تعليم لغته ولا سيما إذا كان غيرنا هذا متفوقا علينا علما واقتصادا وحضارة. ويتفقد الوضع المعيش لتدريس اللغات الأجنبية، نلاحظ بأنها تدرس في وضع أشبه ما يكون بوضع اللغة العربية؛ حيث إن مستوى المتعلمين في هذه اللغات جد ضعيف، وليس أدلّ على ذلك من العلامات التي يحصلون عليها في الامتحانات الرسمية.

#### 4/ الإجراءات المنهجية للدراسة:

اتبعنا في هذه الدراسة تطبيق خطوات المنهج الوصفي التحليلي علي عينة الدراسة، والتي تمثلت في تلاميذ السنة الثانية ثانوي شعبي الآداب والفلسفة والآداب واللغات بإحدى ثانوية الولاية (بسكرة) في دائرة سيدي عقبة وهي ثانوية "بشير البسكري"، حيث كان عدد أفراد العينة هم كل الأقسام الأدبية، والذين عددهم 20 تلميذ موزعين كتالي: قسمين آداب وفلسفة وعددهم 80 تلميذ، وقسم آداب ولغات وعددهم 30 تلميذ.

لتقصي الموضوع، والإجابة على تساؤلات البحث قمنا بتطبيق استمارة استبيان مع هؤلاء التلاميذ حول لغة تواصلهم، مكانة اللغات الوطنية لديهم. حيث احتوت الاستمارة على ثلاث

محاور: محور خاص بمكانة اللغة العربية، وتأثير اللهجة العامية عليها، ومحور خاص بمكانة اللغة الأمازيغية، ومحور ثالث خاص بمكانة اللغة الفرنسية.

بالإضافة إلى إجراء بعض المقابلات المباشرة مع هؤلاء التلاميذ خارج الوسط المدرسي، كما أجرينا بعض المقابلات العابرة مع أساتذة في الطور الثانوي لمواد اللغة العربية والفرنسية، أثناء الدراسة الاستطلاعية كنوعا من التوضيح والضبط لتساؤلات الاستمارة الموجهة لتلاميذ.

### 5/ تحليل وتفسير نتائج الدراسة:

الجدول رقم (01): يوضح عملية التواصل باللغة العربية

المجموع	آداب ولغات أجنبية				آداب وفلسفة				الشعبة	العبارات
	لا		نعم		لا		نعم			
	%		%		%		%	ت		
110	00	0	100	30	%25	20	%75	60	1- هل اخترت هذه الشعبة عن رغبة	
110	00	0	%100	30	00%	0	100%	80	2- هل تحب اللغة العربية كإداة لتعلم	
110	% 00	0	%100	30	%18.75	15	%81.25	65	3- هل تتكلم اللغة العربية الفصحى بشكل جيد	
	%16.66	5	%83.33	25	%12.5	10	% 87.5	70	4- هل تسعى إلى التكلم باللغة العربية أثناء التمدرس	

تعتبر بيانات الجدول علي وضعية ومكانة تدريس اللغة العربية في المرحلة الثانوية، لكلا من شعبي الآداب والفلسفة، والآداب واللغات الأجنبية. وذلك من خلال عملية التواصل اللغوي لتلاميذ أثناء عملية تعلم هذه المادة، كون هذه الأخيرة ليست مادة تعلم كباقي المواد، بل إنها أداة نقل المعرفة وفهم باقي المواد الإنسانية والاجتماعية، وهي المادة الأساسية بنسبة لهاتين الشعبتين. ولهذا جاءت نسبة هذه الإجابات كالتالي:

بالنسبة لمسألة الاختيار أساسا لهذه الشعبة؛ فقد عبر تلاميذ الآداب والفلسفة عن نسبة 75% منهم على أنها رغبتهم الخاصة في الانتساب لهذه الشعبة: وقد برر هؤلاء التلاميذ هذا

الاختيار من أجل تعلم متخصصة للغة العربية الفصحى وآدابها، أما بالنسبة لشعبة الآداب واللغات فقد كانت الإجابات أكثر دقة وشمول حيث عبر التلاميذ بنسبة 100% على أن انتسابهم في هذه الشعبة عن رغبة خاصة، وقد برر هذا كهدف لتعلم اللغات الأجنبية بشكل موسع ومتخصصة ولاكتساب اللغة الفرنسية والانجليزية خاصة بشكل جيد. وأيضا التعرف على لغات أجنبية أخرى كالاسبانية والألمانية...

كذلك الأمر بالنسبة لسؤال الثاني والمتعلق بحب التلاميذ للغة العربية، فقد عبر تلاميذ كلا الشعبتين عن رغبتهم الواسعة في تعلم هذه اللغة وذلك بنسبة 100% لكل أفراد العينة. والذي وضح جهم الشخصي للمادة اللغة العربية، كما برر بعض التلاميذ هذا الاختيار كون هذه المادة تعبر عن انتمائهم ولغتهم الوطنية والرسمية، وأن تعلمها بشكل متخصص وعلمي هو أمر طبيعي بل وعلى حد قول بعضهم أكثر من ضروري. ولا بد من ترقية عملية تعلمها وتعليمها في كل المراحل الدراسية، حيث أكد عدد من التلاميذ من خلال المقابلات التي أجريتها معهم أن المعلومات المعرفية التي تلقوها في الأطوار السابقة، لم تكن كافية ولم تقدم لهم بشكل جيد وواضح، وأن المرحلة الثانوية هي أكثر تخصص لتعلم اللغة العربية وآدابها بشكل واسع وشامل، كونها اللغة الأساسية في الجزائر. وهنا أكد التلاميذ وعيهم الواضح بأهمية اللغة العربية؛ الأمر الذي لفت انتباهنا، حيث يعلم أغلبية التلاميذ؛ أن اللغة العربية لغة رسمية ووطنية في الجزائر بوصاية شرعية. وأنها دعامة من دعائم الشخصية الوطنية، وتعتبر اللغة النموذجية التي لديها قوة فرضت نفسها بسبب ترفعها عن خصائص اللهجات، فهي تؤدي دور التواصل الاجتماعي اليومي بين الجزائريين، كما أنها وسيلة للتواصل الفكري والثقافي، لأنها لغة التعليم في جميع أطواره، ولغة الكتب، والصحافة، الخطابات الرسمية، الاقتصاد، والسياسة. تلقن في المدرسة التي تُعنى بترويض ضوابطها وتعليم نحوها وصرفها ودلالاتها.

اتجهنا في بحثنا عن مكانة اللغة العربية في عملية التواصل اللغوي داخل الوسط المدرسي، إلى استقصاء التلاميذ حول قدرتهم على إجادة اللغة العربية الفصحى بشكل جيد، وتقصد من ذلك إتقانهم نطقها وكتابتها والتواصل بشكل سليم لغتنا وتعبيرا حيث عبر التلاميذ عن هذا الفكرة بنسب متقارب فنلاميذ شعبة الآداب والفلسفة أكدوا إتقانهم الجيد بنسبة 81.25%، بينما 18.75% قالوا أنهم لا يتقنونها بشكل كافي خاصة بالنسبة للشعر العربي القديم والذي يتميز بصعوبة مصطلحاته وبرمزية مفاهيمه. بينما شعبة اللغات فلا يرون صعوبة في إتقانهم للغة العربية لا

كنابتا ولا مشافهتا، بل تكمن المشكلة لديهم في عملية التواصل بها أثناء التمدرس، أي أثناء الحصة الدراسية؛ حيثلا يتكلم هذه اللغة بشكل جيد كل التلاميذ. ورغم هذا فقد أكد ما نسبته 87.5% من شعبة الآداب، وما نسبته 83.33% أنهم يسعون بشكل دائما إلى التكلم باللغة الفصحى أثناء حصص التمدرس الخاصة بالمادة خاصة. وهذا لسببين رئيسيين: والأول يتعلق برغبة التلاميذ في تحسين لغتهم العربية كما سبق وان عبروا على هذا، كما أن أساتذة المادة يصرون ويشرفون على هذا الأمر بشكل دائم.

الجدول رقم (02): يوضح عملية التواصل اللغوي داخل الوسط المدرسي بين اللغة العربية/ اللغة الدارجة (العامة)

مجموع التكرار	آداب وفلسفة / آداب ولغات أجنبية				الشعبة
	اللغة الدارجة		اللغة العربية		العبارات
	%	ت	%	ت	
110	81.81%	90	18.81%	20	1- هل تتكلم مع زملائك خارج الحصة باللغة
110	63.63%	70	45.45%	50	2- هل يتعامل معكم الأستاذ في الحصة باللغة
100	81.81%	90	18.81%	20	3- ما هي لغة التواصل الدائمة لديكم في المدرسة

بيانات هذا الجدول خاصة بتواصل اللغوي داخل الوسط المدرسي لدى تلاميذ شعبي آداب وفلسفة وآداب ولغات، وذلك بمقارنة بين اللغة العربية والدارجة (العامة) نظرا لتأثير الكبير لهذه الأخيرة في عملية التواصل والكلام داخل الوسط المدرسي، حيث ينتقل هذا التأثير من الوسط العائلي والشارع؛ كبنات لها التأثير الأولي على عملية الاكتساب اللغوي لتلميذ؛ إذ عبر التلاميذ عن هذه الأفكار كالتالي: 81.81% من التلاميذ قالوا أنهم يتكلمون اللغة الدارجة (العامة) مع زملائهم خارج الحصة، أي عند انتهاء الدرس؛ ولكن داخل المدرسة، بينما قال ما نسبته 18.81% فقط أنهم يتكلمون أيضا اللغة العربية خارج الدرس ما لم يخرجوا من المدرسة. وفي نفس الفكرة طرحنا على هؤلاء التلاميذ سؤال حول اللغة التي يتعامل بها أساتذة المادة أثناء إلقاء الدرس، حيث يشيع في أقسام التعليم الجزائرية وفي كل الأطوار استعانة الأساتذة باللغة

الدارجة أثناء التدريس. فكانت إجاباتهم كآآتي: 45.45% قالوا أنهم يتكلمون وبشكل كلي اللغة العربية فقط أثناء الدرس، بينما 63.63% منهم قالوا أن الأساتذة يستعينون في بعض الأحيان باللغة الدارجة لتوضيح بعض الأشياء، التي يصعب فهمها على التلميذ، أو للإشارة إلى أمر ما أو للفت انتباه التلاميذ لبعض الأعمال...

وإجمالاً ولمعرفة مدى التأثير الذي تمارسه اللغة العامية (الدارجة) على تعلمات اللغة العربية في هذه المرحلة أردنا معرفة لغة التواصل الدائم لدى التلاميذ بين العربية والعامية، وقد كانت إجابات التلاميذ متوقعة. فقد أكد 90 تلميذ من أفراد العينة؛ أي ما نسبته 81.81% أنهم يتكلمون اللغة العامية (الدارجة) أثناء عملية التواصل فيما بينهم وفي أغلب الأحيان.

الجدول رقم (03): يوضح مكانة اللغة الأمازيغية عند التلاميذ

مجموع التكرار	آداب وفلسفة / آداب ولغات أجنبي				العبارات
	لا		نعم		
	%	ت	%	ت	
110	13.63%	15	86.36%	95	1- هل لديكم فكرة أن اللغة الأمازيغية لغة وطنية
110	100%	110	00%	0	2- هل تتقنون اللغة الأمازيغية
100	63.63%	70	45.45%	50	3- إذا تم اعتماد هذه اللغة لغة أساسية في المقرر. هل تقبلون على تعلمها

باعتبار اللغة الأمازيغية لغة وطنية في الجزائر، وتعتبر من المقومات الأساسية للشخصية الوطنية، ودعامة أساسية للثقافة والهوية، كما أنها لغة لتعليم وفق المراسيم التشريعية رفقة اللغة العربية، لهذا ولمعرفة مكانة الأمازيغية في الوسط المدرسي الجزائري طرحنا بعض الأسئلة على تلاميذ شعبي الآداب والفلسفة والآداب واللغات وقد كانت إجاباتهم كآآتي:

86.36% يدركون جيدا أن اللغة الأمازيغية لغة وطنية في الجزائر، وأنهم من المفروض لغة لتعليم أيضا، بينما 13.63% قالوا انه ليس لديهم فكرة أن اللغة الأمازيغية لغة وطنية مهيأة القانون في الجزائر، أما فيما يخص إتقان هؤلاء التلاميذ لهذه اللغة، فقد أجاب جل التلاميذ ونسبة

100% أنهم لا يتقنون هذه اللغة إطلاقاً. ولكن هذا لم يمنع التلاميذ من التعبير عن رغبتهم في تعلم هذه اللغة في حال ما أصبحت رسمية وأساسية في المقررات الدراسية وذلك بنسبة 45.45%، في حين لا يرغب الباقي من أفراد العينة في تعلمها، وذلك بنسبة 63.63%، وقد برروا هذا بصعوبة هذه اللغة وبعدم تدولها في الأوساط العامة، وحتى الرسمية مثل المدرسة، ذلك ما يجعل تعلمها بالنسبة لهم عائقاً ومضيقاً للوقت على حسب رأيهم. خاصة وأن منطقتنا أي مكان إجراء البحث يتميز بأغلبية تتكلم اللغة العربية أو بالأحرى العامية ولا وجود للعنصر الأمازيغي إلا بشكل قليل جداً، وأن وجدت أصوله بين التلاميذ فهم لا يتقنون هذه اللغة نظراً لوجود الدائم والقديم في المنطقة.

الجدول رقم (04): يتعلق بمكانة اللغة الفرنسية

آداب ولغات أجنبية		آداب وفلسفة				الشعبة		الأسئلة
		لا		نعم				
لا	نعم	لا	نعم	لا	نعم	لا	نعم	1- هل تحبون تعلم اللغة الفرنسية
%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	
00%	0	100%	30	12.5%	10	87.5%	70	
00%	0	100%	30	13.63%	15	81.25%	65	
15.45%	17	40%	12	13.63%	15	81.25%	65	
								2- هل تتكلمون اللغة الفرنسية بشكل جيد
								3- هل تلقون صعوبة في استيعاب اللغات الأجنبية

يتعلق الجدول كما هو موضح بمكانة اللغة الفرنسية كلغة تعلم أساسية في الطور الثانوي وبالنسبة أيضاً لهاتين الشعبتين، حيث عبرت نسبة القبول عن إجابات التلاميذ الخاصة بعملية تعلم وإتقان اللغة الفرنسية وقد كانت كالآتي:

87.5% من تلاميذ شعبة آداب وفلسفة، أنهم يحبون تعلم اللغة الفرنسية كلغة أجنبية، نظراً لانتشارها الواسع في أوساط المجتمع الجزائري، بينما عبر البعض منهم أنهم مرغمون على تعلمها لنفس السبب، وأنهم يحبون تعلم لغات أجنبية أخرى غير الفرنسية، وذلك بنسبة 12.5%، أما تلاميذ شعبة اللغات فقد عبروا بنسبة 100% عن رغبتهم الكبيرة في تعلم هذه اللغة بشكل جيد

خاصة أنهم وفي رأيهم يتكلمونها ويتقنون فنونها جيدا، والذي عبروا عنه أيضا بنسبة 100%، بينما يرى بعض من تلاميذ شعبة آداب أنهم لا يتقنون بشكل كافي هذه اللغة خاصة في عملية التواصل الدائم والقراءة لكتب الآداب الفرنسية والشعر... وذلك بنسبة 13.63% بينما الباقي لا يرى هناك صعوبة في تعلم اللغة الفرنسية، وهي نسبة كبيرة قدرت بـ 81.25% ما يدل عن اهتمام وحب هذه اللغة من طرف التلاميذ خاصة لدى شعبة اللغات. ورغم حب التلاميذ ورغبتهم الكبيرة في إتقان هذه اللغة وعددا من اللغات الأجنبية حيث أكد الطلبة أنهم يجدون صعوبة في اكتساب وتعلم بعض اللغات الأجنبية الأخرى مثل الإنجليزية والإسبانية والألمانية وذلك بنسبة 81.25% بالنسبة للآداب و40% بالنسبة للغات. وقد فسروا ذلك بنقص الوقت المخصص لتدريس هذه اللغات مقارنة باللغة الفرنسية والتي تستحوذ على جل الوقت أثناء الأسبوع.

الجدول رقم (05): يوضح لغة التواصل في الوسط المدرسي: فرنسية/دارجة

مجموع التكرار	الشعبة				العبارات
	آداب وفلسفة / آداب ولغات أجنبية		الفرنسية		
	الفرنسية/الدارجة	الفرنسية	الفرنسية	الفرنسية	
	%	ت	%	ت	
110	72.72%	80	27.27%	30	1- خارج الحصة ماهي اللغة التي تتناولها مع زملائك
110	100%	00	00%	110	2- هل يتعامل معكم الأستاذ في الحصة باللغة
100	45.45%	50	63.63%	70	3- ماهي لغة التواصل المفضلة لديك

البيانات التالية توضح تأثير اللغة الدارجة (العامية) علي اللغة الفرنسية وذلك أثناء التمدريس سواء داخل الحصة أو خارجها ضمن عملية التواصل التعليمي بين التلاميذ حيث جاءت إجابات التلاميذ كالتالي: 72.72% يؤكدون أنهم يتواصلون فيما بينهم باللغة الدارجة (العامية) مع الفرنسية خارج حصة الدراسة، بينما يقول 27.27% أنهم يجولون التكلم باللغة الفرنسية بشكل كلي دون الاستعانة بالعامية، رغم أنهم أيضا يرون صعوبة في عملية التواصل بهذه اللغة نظرا لعدم قدرة جميع التلاميذ على الكلام بها وصعوبتها وعدم تداولها في الوسط التعليمي غير الرسمي بشكل دائم. هذا ما يجعل اغلب التلاميذ يميلون إلى التواصل باللغة الدارجة وان أضافوا لها بعض المصطلحات

الفرنسية حيث تظهر كأنهم يتكلمون الفرنسية كلغة، إذ طرحنا هذه الفكرة في سؤال لهؤلاء التلاميذ وكان إجاباتهم أنهم يفضلون عملية التواصل باللغة الفرنسية بنسبة 63.63% بينما لا يستطيعون وذلك بشكل جيد مما يجعلهم يمزجونها بالعامية أحيانا وهذا بنسبة 45.45%. عند نفس الفكرة أردنا معرفة إذا كان أساتذة الفرنسية يستعينون باللغة العامية أثناء الدرس أم لا، لأنهم بطبقة الحال يتأثرون بالوسط الخارجي ويؤثرون بدورهم في لغة التلميذ. وقد كانت إجابات التلاميذ عند كلا الشعبتين تؤكد تكلم أساتذة اللغة الفرنسية هذه اللغة بشكل كلي أثناء التدريس، بل أضاف بعض الطلاب أنهم يتكلمونها حتى خارج الحصة أي في الوسط المدرسي عموما. ويحثون التلاميذ على التواصل بها حتى خارج الحصة.

### 6 / تفسير نتائج الدراسة علي أساس تساؤلات البحث:

تلعب اللغة دورا حيويا في كل مجتمع كونها وسيلة التعبير والتواصل والوجود، وأنها سلطة من خلالها تبنى العلاقات التي تحدها القوانين الوضعية للأمة، حيث تسمها بسمة الطبقة المسيطرة، فهي مرتبط في المقام الأول بالشخصية، والتي بواسطتها تتميز الأشياء وتحدد الأهداف وتعد الوجه الحقيقي لكل تواصل وطني أو رسمي بين أفراد المجتمع باعتبارها حافظة وناطقة باسمهم، والأداة الأساسية لتعليمهم اللغوي والمعرفي. فهي تمارس نوعا من السلطة على عملية تواصلهم واتصالهم لصالح لغة على لغات أخرى وبدعم ووصاية طبقة على طبقات أخرى، حيث تظهر غلبة وسيطرة لغة علي باقي اللغات أين ينتج ومع اتساع هذه السيطرة مظاهر العنف الرمزي اللغوي، حيث يأخذ العنف الرمزي أكثر صوره وضوحا في صراع النماذج اللغوية في المدرسة، إذ تشكل المدرسة ساحة للصراع اللغوي الرمزي بين نماذج لغوية متعددة. فاللغة تشكل نظاما رمزيا للدلالات والتصورات الرمزية التي يتحدث عنها بورديو في نظريته الرمزية، وهي الحامل التاريخي للرموز والتصورات والدلالات والمعاني (وظفة، 2009، صفحة 87). الشأن الذي يعلي لغة عن آخر وفق وجهين مختلفين؛ فقد نجد لغة تتمتع بكامل الشرعية القانونية والثقافية والاجتماعية كاللغة العربية في المدرسة الجزائرية، ووجه آخر يفرضه الوسط الاجتماعي والتداول الواسع لغة معينة بحكم سهولتها مثلا أو انتشارها الواسع بين أفراد المجتمع، حيث نجدها حتى في المؤسسات الرسمية كالمدرسة والجامعة ووسائل الإعلام... وعادة ما تكون لغة عامية في المجتمع كاللهجة الجزائرية باختلافها في القطر الجزائري.



وهذا ما أثبتته الدراسة الميدانية التي أجريتها مع تلاميذ الأقسام الثانوية حيث أجمع أغلبية التلاميذ على حبهم لإتقان اللغة العربية والتكلم بها بشكل واسع النطاق داخل الوسط المدرسي، وحتى خارجه، لكنهم أكدوا صعوبة الأمر من حيث التواصل باللغة العربية مع جميع فئات المجتمع، خاصة مع زملائهم؛ حيث يعتبر من يتكلم اللغة العربية الفصحى إنسان غير عادي وقد يتعرض لتهمك والسخرية من طرف زملائه، لذلك يلجئ معظم التلاميذ لتواصل باللهجة العامية أو اللغة الفرنسية في اغلب الأحيان، إن لم نقل بشكل دائما. وهنا تظهر أشكال العنف الرمزي اللغوي الممارس في الوسط المدرسي الجزائري خاصة على في المرحلة الثانوية. من خلال ثلاث أشكال:

### 17 / أشكال العنف الرمزي اللغوي في الوسط المدرسي بالجزائر: - المهينة اللغوية للغة العربية:

أولى مظاهر العنف الرمزي المعتمدة في النظام التربوي الجزائري، والتي ندرکها من خلال الممارسة التعليمية اليومية وهي: **المهينة اللغوية**، إذ نلاحظ نظام للمهينة والسيطرة الواضحة للغة على لغة وللغة على مجموع من اللغات، التي تحدد البنية اللغوية في المجتمع الجزائري، وفي العملية التعليمية، إذ نلاحظ شكلين من عنف اللغة في النظام التربوي الجزائري، الأولى تتعلق **بمهينة اللغة العربية** باعتبارها اللغة الرسمية والوطنية في البلاد، ولغة التعليم في كل المراحل التعليمية، كما نص على ذلك الدستور وكل تعديلاته ومختلف النشرات الرسمية الوطنية والتربوية، بالإضافة إلى اعتبارها وفق نصوص السياسة التربوية الصادرة في محتوى القانون التوجيهي للتربية، اللغة الرسمية للتعليم في جميع الأطوار والمراحل، كما اعتبرها لغة الإسلام والحضارة والتقدم العلمي، وهذا ما نلاحظ بالفعل عند الممارسة التعليمية للمتعلم الجزائري، فهو يتلقى جميع المواد الدراسية باللغة العربية في المرحلة التعليم الابتدائي وإلى غاية التعليم الجامعي، باستثناء بعض المعاهد، وبعض التخصصات التي تدرس باللغة الفرنسية.

إن اعتبار اللغة العربية هي اللغة الرسمية الوحيدة لتعليم من الناحية القانونية التشريعية، وإقصاء اللغة الأمازيغية والتي منحت مؤخر صفة الوطنية في المواثيق الرسمية (دستور 2002)، يعتبر مهينة لغوية وضرب للحقوق اللغوية لكثير من الفئات الناطقة بهذه اللغة في الحياة اليومية، ذلك أن الحياة اليومية والاستعمالات داخل الوسط المدرسي، تختلف من الناحية التنظيمية الصادرة من طرف المشرع التربوي، حيث يأتي الطفل الجزائري إلى المدرسة وهو يحمل لغته الأم، وهي تختلف تماما على اللغة التي يُفرض عليه تعلمها في سن مبكرة، حيث تكون لغة دارجة (عامية

مختلطة بالعربية)، أو لهجة أمازيغية بعيدة كل البعد على اللغة المدرسية، سواء كانت اللغة العربية الفصحى، أو اللغة الفرنسية، أي أن المتعلم الجزائري في كلتا الحالتين يلقي صعوبة كبيرة في اكتساب وتعلم هذه اللغة، فهو أمام هجين لغوي يُفرض عليه مرة واحدة، ولا يتدرج في تلقيه ولا في الأنماط اللغوية، التي تُحدد عليه التلقي والتعلم، أين يُدفع به لا شعوريا إلى تعلم لغة ثالثة، أين يكون الملاذ الوحيد لهذه الازدواجية، وغالبا ما تكون اللغة الفرنسية، التي تمارس أيضا داخل النظام التربوي الجزائري، هيمنة من نوع آخر.

إن ما يعيشه المتعلم الجزائري أثناء عملية اكتسابه اللغوي، يعتبر وحسب نظرية بورديو عنفا رمزيا لغويا، وهو أحد أكثر أشكال الصراع الثقافي والاجتماعي وضوحا وبيانا في المؤسسة التعليمية، فالمدرسة تتبنى نمطا لغويا تفرضه الطبقة المهيمنة السائدة، وبالتالي فإنها تفرض هذا النمط اللغوي على جميع أبناء الطبقات والفئات الاجتماعية المختلفة أثناء عملية تعلم اللغة، ويميز الباحثون على العموم بين نمطين لغويين في إطار الثقافة العامة والنظم التعليمية تكون مجال للتعليم.

• اللغة الرسمية وهي لغة رمزية مكتوبة، تتصف بدرجة عليا من التسلسل المنطقي والتكامل الرمزي، وتوظف في إطار المؤسسات الرسمية والتعليمية، وتتمتع بمكانة هامة وقانونية تمنحها حق الهيمنة الشرعية (اللغة العربية في الجزائر).

• اللغة العامية (المحلية، اللغة الدارجة)، وهي لغة الاتصال اليومية في الحياة العامة والاجتماعية، وقد تنوع فيها اللهجات حسب الفئات الاجتماعية ولا تتمتع بأي حقوق، رغم سيطرتها في الاستعمالات اليومية (بورديو، 2007، صفحة 201).

وهذا ما ينطبق على اللهجات العامية أو اللغة الأمازيغية، والتي منحها المشرع الجزائري حقوق دستورية وحتى تربوية تعليمية مؤخرا من الناحية الشكلية فقط، حيث لا تمارس هذه اللغة بشكل رسمي في الوسط المدرسي باستثناء بعض المؤسسات التعليمية المتواجدة في المناطق ذات اللهجات الأمازيغية وخير دليل نتائج الدراسة الحالية، أين أكد جميع أفراد العينة أنهم لا يتقنون هذه اللغة، نظرا لأنهم لم يطلعوا عليها كمادة تعليمية في مقرراتهم الدراسية إطلاقا، ما جعلها مجهولة ومهمشة وغير مرغوب في تعلمها. رغم أنها لغة وطنية تعبر عن تراث ثقافي وتاريخي قديم قدم الوجود الجزائري. وهنا يظهر أيضا شكل من أشكال العنف اللغوي من خلال هيمنة لغة وطنية أم، على لغة وطنية أم أيضا في الوسط المدرسي. وهذا شكل آخر للعنف الرمزي الذي تمارسه السلطة الرمزية، حيث تأخذ مجالها الحيوي في مجال المؤسسات التربوية، ولاسيما المدرسة، والتي

تتحول إلى مساحة للصراع الرمزي بين اللغات، وبين مختلف القوى الاجتماعية الفاعلة داخل المجتمع الجزائري، فالرمزية اللغوية السائدة في المدرسة الجزائرية، تشكل نوعاً من السلطة الاجتماعية، التي تحاول أن تشكل الأطفال المتعلمين على شكل الأيدولوجيا السائدة والمسيطرة من طرف الطبقة المهيمنة، وحسب لغة يورديو يُنظر إلى سياسة الحث على تعلم لغة واحدة مهيمنة حلاً بديها لمشكلات التواصل اللغوي في المجتمعات متعددة اللغات واللهجات (المجتمع الجزائري) (يورديو و بيرسون، 2007، صفحة 19).

وتكمن جاذبية وواقعية هذا الافتراض بالنسبة للمشرع الجزائري، في النظر إلى الأحادية حلاً للامساواة اللغوية بين التعددية اللغوية، فإذا تعلمت الأقليات اللغة المهيمنة - وفق هذه الفكرة- فلن تعاني من اللامساواة الاجتماعية والاقتصادية. إن هذا الافتراض نموذج لإيديولوجية مهيمنة تحيل إلى مسلمات غير واعية سرعان ما تجد نفسها بعيدة عن الديمقراطية خاصة اللغوية منها، بل وقد يذهب الموضوع إلى أكثر من هذه الموازنة، إلى شكل من أشكال الصراع الثقافي اللغوي، داخل أهم أوساط المجتمع بنائية؛ دا الوسط المدرسي، حيث تُصوغنا إلى سياسة الإقصاء ودعم اللامساواة الاجتماعية اللغوية وبالتالي التعليمية والمهنية، هذا بالنسبة إلى الشكل الأولي من الهيمنة اللغوية في النظام التربوي الجزائري (حسني، 2016-2017، صفحة 344).

#### - الهيمنة اللغوية للغة الفرنسية:

أما الشكل الثاني فهو الأكثر حدة وخطورة على ثقافة وهوية المجتمع الجزائري، حيث يتعلق بهيمنة اللغة الفرنسية على اللغات الوطنية (اللغة العربية واللغة الأمازيغية)، من خلال الممارسة اللغوية لهذه اللغة، سواء في الوسط المدرسي ومن طرف النخب المثقفة، أو في الحياة العامة للفرد الجزائري، وما يدعم هذا الاستنتاج ما أثبتته الدكتورة حسني هنية في دراستها لسياسة اللغوية في النظام التربوي الجزائري من خلال الوثائق التشريعية التربوية المنظمة لسياسة والتخطيط اللغة، حيث استنتجت الباحثة من البيانات الكمية التي حصلت عليها من تحليل كل عينات الدراسة التي استعملتها: (الدستور، القانون التوجيهي للتربية الوطنية، النشرات الرسمية، الأهداف التعليمية للغات)، وبين الممارسات التعليمية التعليمية للمتعلم في الوسط المدرسي الجزائري. ظهور معالم الهيمنة اللغوية للغة الفرنسية مبكراً جداً في نظامنا التربوي، كما سبق وأن أدرجنا، إذ أن تدريس اللغة الفرنسية في السنة الثالثة ابتدائي، يعتبر تقدماً كبيراً لهذه اللغة في السلم التعليمي، لا يقف عند عملية التعلم والإتقان اللغوي لهذه اللغة فقط، بل ترى الباحثة أنها تذهب إلى تأثيرها

الوجداني والعاطفي (حسني، 2016-2017، صفحة 345). ذلك أن اللغة لا تعني مجرد أداة للتواصل، بل هي نظام تفكير وطريقة في الحياة والتأمل والنظر، إنها كيان ذهني ونفسي وعقلي ووجداني، يأخذ هيئة رمزية في مكتسبات المتعلم بالغة الخطورة في حياة الطبقات والفئات الاجتماعية. إن اللغة بوصفها إطار رمزي للوجود الاجتماعي للفرد تشكل أكثر أدوات الصراع والتواجد خطورة في الوسط المدرسي (بورديو و بروسون، 2007، صفحة 195)، لذلك يعد اكتساب اللغة الفرنسية وتعلمها في النظام التربوي الجزائري، أكثر من اعتبرها مادة دراسية تعليمية، حيث أنه وفي واقع الأمر، اللغة الفرنسية التي لا تحظى بأي شرعية قانونية، هي في الواقع لغة التعامل المهيمنة على العديد من مفاصل النشاط الحيوي في الجزائر، وخاصة قطاع التعليم بكل مراحله.

وفي هذا المقال يرى بورديو، أن اللغة المسيطرة لا تتمكن من فرض سيطرتها وسلطتها كنوع من العنف المشرعة، إلا بمساعدة من تحكمهم بفضل آليات اجتماعية وقانونية قادرة على تحقيق ذلك التواطؤ، وهو مصدر كل سلطة (أبو درج، 5 ديسمبر 2017).

ويمكن لهذه الفكرة أن تفسر حقيقة العنف اللغوي الممارس في الأوساط المدرسية وحتى في باقي المؤسسات الرسمية في الجزائر، حيث تسعى الجزائر جاهدة للمحافظة على هذا الشكل من الممارسات اللغوية، بل وتسعى لإعادة إنتاجها في كل المراحل التعليمية. من خلال تمجيد تدريس اللغة الفرنسية المبكر، وتهميش اللغات الأجنبية الأخرى. والتي هي اللغات العالمية (الانجليزية). فالفرنسية حاضرة دائما في كل ما هو نافع وله مردودية رمزية ومادية تساعد على الارتقاء التعليمي والاجتماعي والسياسي، وهذا الأمر يقوي حضورها الاجتماعي والاقتصادي، ويضعف حضور العربية ويحفظها في نظرة تقليدية كلاسيكية لفئة ضيقة جدا من المجتمع (حسني، 2016-2017، صفحة 350).

## 17/ إعادة إنتاجية الصراع اللغوي في الوسط المدرسي:

نتيجة للهيمنة اللغوية السائدة في نظامنا التربوي، والتي أنتجت بدورها ازدواجية سلبية على فكر وتعلم الفرد الجزائري، زاد مجال ممارسة وإعادة إنتاج العنف الرمزي اللغوي في الوسط المدرسي، والذي بدوره شكل وبطرق غير مباشرة ورمزية عبر استمرارية الإنتاجية اللغوية السابقة، صراع داخلي بين المجموعات اللغوية الشفهية، وحتى الكتابية، حيث يظهر بنفس الشكل والتصنيف الذي تظهر به الثنائيات اللغوية الموجودة في الساحة المدرسية، وحتى في الحياة العامة

إذ يأخذ العنف الرمزي اللغوي أكثر صوره وضوحا في صراع الناذج اللغوية في المدرسة (النظام التربوي)، إذ تشكل المدرسة ساحة للصراع اللغوي الرمزي بين نماذج طبيعية متعددة (بين اللغة العربية، الفرنسية، بين العربية والأمازيغية، بين الأمازيغية والفرنسية، بين جميع اللهجات). وهذا ما كدته الممارسات اللغوية التي استقصيناه من تلاميذ الطور الثانوي كم توضح نتائج الجداول.

إن وسط مدرسي كالوسط المدرسي الجزائري، يحتوي مجموعة من الناذج اللغوية المختلفة والمتعددة، قد يؤدي الاتصال المباشرة والمتواصل لهذه اللغات وعبر تطور المراحل الدراسية إلى شكل من أشكال الصراع اللغوي بين هذه اللغات، من حيث النطق ومن حيث المكانة التعليمية المستقبلية- وذلك نتيجة العنف والإقصاء الممارس ضد بعض اللغات- حيث يفضي هذا الصراع في النهاية إلى تفضيل أو غلبة لغة عن أخرى، على أساس المهمنة وسلطة هذه اللغة، والتي ترتقي اجتماعيا، حيث تكون لغة التواصل، والترقي، والعمل والتوظيف، ولغة الطبقة الأعلى، والتي حظيت بها بالنسبة للتعليم الجزائري دائما اللغة الفرنسية باعتبارها اللغة الغالبة والمسيطرة على حتمية الصراع الاجتماعي اللغوي.

" إن معظم الصراعات اللغوية المعاصرة، هي نتيجة الوضع الاجتماعي المختلف والمعالجة التفضيلية للغة المهمنة من طرف السلطة الداعمة لهذا النوع من الصراع اللغوي، حيث أن المجموعات اللغوية المهمنة تسيطر على السلطة الحاكمة في مجالات (كالتعليم والإدارة والاقتصاد...) وتعطي الأفضلية في التشغيل والترقي لطلاب المتكلمين والمتمكنين من اللغة المهمنة " (بورديو، 2007، صفحة 22)، أين تتجه المجموعات اللغوية المحرومة والمهمنة عليها إلى ممارسة العنف الرمزي والمطالبة بحقوقها اللغوية كنوع من الصراع (الربيع الأمازيغي). حيث وكما ورد في إجابات التلاميذ يفضل معظمها مواصلة التعليم الجامعي باللغة الفرنسية دون غيرها، لأنهم يدرون جيدا أن الارتقاء في السلم الاجتماعي في المجتمع الجزائري أدواته وسلاحه الأساسي الإتقان الجيد للغة الفرنسية. وليس العربية والأمازيغية، ولا حتى الانجليزية.

## ■ الخاتمة:

إن كان من الثابت أن هناك اختلالات لغوية في المدرسة الجزائرية، أنتجت نوعا من العنف وأن كان رمزيا فقد تولد عنها اختلالات لدى المتعلم في اكتساب المعرفة والمهارات اللغوية والاندماج المجتمعي، فإنه من الأكيد هناك اختلالات ماثلة في المحيط الاقتصادي والاجتماعي ووسائل الاتصال والإدارة، قد تساهم في تعطيل سيرورة التنمية والإنتاج والخلق على صعيدي المجتمع والموطن، لذا فإن بناء وإنتاج سياسة لغوية تحدد الاختيارات وخطط العمل، ليست من قبيل الترف والتأسيس فقط، بل أن لها انعكاسات فعلية في التربية والتعليم، بل وفي المعرفة والثقافة والاقتصاد، وفي المحددات السياسية للدولة الديمقراطية والمواطنة والسيادة الحرة، وحتى تكون سياسة الدولة اللغوية موضوعية وعصرية وناجحة وديمقراطية، سواء أكانت ظاهرة أو باطنة (ضمنية) فلا بد أن تعتمد على مجموعة من الشروط والنقاط، وأن تحتوى على مبادئ وأساسيات وطنية وعصرية، قد تساهم في حل الصراع اللغوي في الوسط المدرسي على الأقل، وبالتالي التقليل من مظاهر وأشكال العنف اللغوي في هذا الوسط في جميع أوساط المجتمع، لذلك نقترح بعض النقاط والبنود الأساسية في بناء سياسة لغوية تعليمية خالي من مظاهر العنف قد تنتج فرد جزائري معاصر وهي:

- أن تأخذ كقاعدة لها مكونات الثقافة اللسانية المجتمعية والتاريخية.
- إقامة لغة رسمية عصرية شاملة وذات أساس قوي (شمولية مجتمعية، لا فردية تعسفية).
- تبين تعدد لغوي تراكمي مدعوم، ذي بعد وظيفي (في الاتصال والاقتصاد، التكنولوجيا والعلوم، التنوع المرجعي) مع إقامة لغتين أجنبيتين متميزتين (لا لغة واحدة مسيطرة).
- السماح بتعدد ألسني هوي توافقي توازيه بيئة لسانية مدعومة.
- ضبط تعليم اللغات الأجنبية في مدارس الأمة موقع اللغة الرسمية في الخطاب الرسمي.
- الاهتمام باللغات المحلية (الوطنية).

## ■ المراجع:

1. بيار بورديو. (2007). العنف الرمزي. بحث في أصول علم اجتماع التربوي. ترجمة نصير جاهل. لبنان: المركز الثقافي العربي.
2. بيار بورديو، و جان كلود بيرسون. (2007). إعادة افتتاح في سبيل نظرية عامة للنسق التعليم. لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.
3. راجح تركي. (1997). الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهاده في التربية والتعليم. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
4. شوقي السيد الشريفي. (2000). معجم مصطلحات العلوم التربوية. الرياض: مكتبة العبيكات.
5. صالح بلعيد. (2007). في الهوية الوطنية. الجزائر: دار الآمال.
6. عبد القادر فضيل. (2009). المدرسة في الجزائر حقائق وإشكاليات. الجزائر: جسور للنشر والتوزيع.
7. عبد الكريم غريب. (2006). المنهل التربوي: معجم موسوعي في المصطلحات والمفاهيم البيداغوجية. الدار البيضاء: منشورات عالم التربية. ج1.
8. عز الدين المناصرة. (2004). الهويات والتعدد اللغوي. الجزائر: دار مجدلاوي.
9. علي أسعد وطفة. (2009). من الرمز والعنف إلى ممارسة العنف الرمزي: قراءة في الوظيفة البيداغوجية للعنف الرمزي في التربية المدرسية. مجلة شؤون اجتماعية. المجلد 26. العدد 104. الإمارات العربية المتحدة.
10. كاظم أبو درج. (5 ديسمبر 2017). اللغة والمجتمع. تم الاسترداد من: <http://www.ss@wong>.
11. محمد العربي ولد خليفة. (2005). المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية. الجزائر: شركة التوزيع فالة. المطبوعات الجامعية.
12. محمد عاطف غيث. (2006). قاموس علم اجتماع. الإسكندرية- مصر: دار المعرفة الجامعية.
13. هنية حسني. (2016-2017). السياسة اللغوية في المجتمع الجزائري- دراسة تحليلية نقدية لنظام التربوي. الجزائر: مذكرة دكتوراه علوم. جامعة محمد خيضر. بسكرة. غير منشورة.